الباب الثاني

عصر صدر الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول :

الشـــعر

يعتبر بعض الأدباء أن العصر الإسلامى شامل لعصر صدر الإسلام وعصر الدولة الأموية . وذلك بسبب عدم وجود فرق شاسع بين شعراء هذين العصرين . وقد أطلق النقاد علي الشعراء الذين عاشوا قبل الإسلام وبعده بالشعراء المخضرمين . وعلي الذين ولدوا في الإسلام بشعراء العصر الإسلامي .

ومن الشعراء المخضرمين حسان بن ثابت . والخنساء وكعب بن زهير . والحطيئة . وعبد الله بن رواحة وغيرهم ممن يطلق عليهم لفظ المخضرمين . وقد سبق لنا الحديث عن القصيدة الجاهلية وقلنا بأنها في أغلبها تتكون من عدة أغراض تبدأ بالمقدمة الطللية أو الغزل أو وصف الخمر . وقلنا كيف تغير مفهوم هذه المقدمات فاختصرت أحيانا . وحذفت أحيانا أخري . ونضيف إلي ذلك أن معظم ما قلناه في هذا الشأن ينطبق أيضاً علي الشعر في العصر الأموى فقد خلت قصائد الرثاء والغزل وشعر الأحزاب السياسية من المقدمات .

يقول حسان بن ثابت في رثاء أخيه "خبيب" :

يا عين جودى بدمع منك منسكبِ

وابكى حبيبا مع الغادين لم يؤبِ

صقرا توسط في الأنصار منصبه

حلو السجية محضا غير مؤتشبِ

قد هـاج عينـى علـي عـلات عبرتهـا

إذ قيل قد نص عن جذع من الخشبِ

يأيهـــا الراكـــب الغـــادى لطيتـــه

أبلـــغ لـــديك وعيـــدا لـــيس بالكـــذبِ

بنى فكيهة إن الحرب قد لقحت

محلـو بهـا الصـاب إذ تمـرى لمحتلـب

فيهـا أسـود بنـى النجـار يقـدمهم

شـهب الأسـنة في معضوضـب لجـب

والقصيدة تنعى "خبيبا" وتتوعد بنى فكيهة بالحرب التي لن تبقي ولا تذر ، وهو يفخر بقومه بنى النجار ويصفهم بالأسود ، وقد حذف حسان المقدمة الطللية ، ووصف الناقة ، ووصف الرحلة ؛ لأن ما يشغل فكره ووجدانه هو حزنه علي خبيب وتوعده لبنى فكيهة ، وإشادته بقومه ، وهذا الحذف كثر كماقلنا في قصائد الرثاء في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ..

وفي قصيدة أخرى لحسان بن ثابت يمدح فيها رسول الله r تحت عنوان "اسم النبي" ***يقول فيها*** :

أغـــر عليـــه مـــن النبـــوة خـــاتمٌ

مـــن الله مشـــهود يلـــوح ويشـــهدُ

وضم الإله اسم النبى إلي اسمه

إذا قال في الخمس المؤذن أشهدُ

وشق له من اسمه ليُجله

فذو العرش محمود وهذا محمدُ

نبى أتانا من بعد يأس وفترة

من الرسل والأوثان في الأرض تعبدُ

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا

يلوح كما لاح الصقيلُ المهندُ

وأنذرنا نارا وبشر جنة

وعلمنا الإسلام فاللّٰه نحمدُ

وأنت إله الخلق ربى وخالقي

بذلك ما عمرت في الناس أشهدُ

تعاليت ربُّ الناس عن قول من دعا

سواك إلها أنت أعلي وأمجدُ

لك الخلق والنعماء والأمر كله

فإياك نستهدى وإياك نعبد

والقصيدة إذا تتبعناها نجدها تتميز برقة اللفظ ووضوح المعاني . وقد تخلص الشاعر فيها من المقدمات . وانتقل إلي غرض المدح مباشرة ؛ لأن السياق لا يتحمل

obeikandl.com

سير القصيدة علي نسق الشعر القديم ، وقد وضح في القصيدة تأثر الشاعر بمعاني وألفاظ القرآن الكريم ، وإذا بحثنا في الألفاظ نجد أنها لا تحتاج إلي معجم يفك ما استغلق من معان كما في قصيدة "أبكى خبيبا" بما جعل النقاد يتهمون "حسانا" بأن شعره في الجاهلية أجود منه في الإسلام ، وهذا أمر فيه نظر؛ لأن جودة اللفظ تتحقق حين يوضع في مكانه ولا يستطيع لفظ آخر أن يحل محله .

ومن الشعراء المخضرمين أيضاً "كعب بن زهير" توعده الرسول r حين أرسل إلي أخيه "بجير" ينهاه عن الإسلام ، ولما بلغ النبي ذلك توعده ، فبعث إليه أخوه يحذره من غضب النبي r فقدم علي رسول الله في المدينة وبعد صلاة الفجر قام فسلم علي الرسول وأنشده قصيدته "بانت سعاد" وهي في مدح رسول الله r بدأ القصيدة ***بقوله*** :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبولُ

متيم إثرها لم يفد مكبولُ

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحولُ

هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طولُ

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت

كأنه منهل بالراح معلولُ

ثم ينتقل بعد المقدمة الغزلية إلي وصف الناقة متحدثا عن قوتها وضخامتها وسرعتها :

أمست سعاد بأرض لا يُبلغها

إلا العتاق النجيبات المراسيلُ

ولن يُبلغها إلا عذافرة

لها علي الأين إرقال وتبغيلُ

ويظل يعدد صفات الناقة في أكثر من عشرين بيتا ، ثم يتحدث بعد ذلك عن الوشاة ، وما قالوه له ، وما فعلوه معه ، وقد انتقل الشاعر في كل حالة بطريقة لم تشعر خلالها بتفكك القصيدة أو عدم ترابط أجزائها:

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم

إنك يا ابن أبى سُلمى لمقتولُ

وقال كل خليل كنت آمله

لا ألهينك إنى عنك مشغولُ

فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم

فكل ما قدر الرحمن مفعولُ

كل ابن انثى وإن طالت سلامته

يوما علي آلة حدباء محمولُ

obeikandi.com

ثم يعتذر لرسول الله r ويطلب منه العفو ، وألا يأخذه بأقوال الوشاة ، ثم يمدح النبي r حتى يصل إلي قوله :

إن الرسول لنور يستضاد به

مهند من سيوف الله مسلولُ

ويختتم القصيدة بمدح الصحابة :

لا يفرحون إذا نالت رماحهمُ

قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

لا يقع الطعن إلا في نحورهمُ

وما لهم عن حياض الموت تهليل

فيلقي النبي r بردته عليه مسامحا إياه ، غافرا له ذنبه .

والمتأمل للقصيدة يجدها سارت علي نسق القصيدة الجاهلية ، فقد بدأت بالمقدمة الغزلية ، وهي مقدمة لتصوير أحاسيس الشاعر ، ثم وصف الناقة فأطال في وصفها ، وكأنه يصور صراع الشاعر مع المأزق الذى كان فيه ، ثم صعوبة الرحلة ومشقاتها ثم حديثه عن الأخلاء الذين تخلوا عنه ، ثم إصراره علي الذهاب إلي النبي ، وهو يأمل في عفوه وكرمه ، ثم مدحه لرسول الله r والصحابة .

ومن الشعراء المخضرمين أيضا الحطيئة والنابغة الجعدى وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم .

وقد لعب الشعر في صدر الإسلام دوره في الدفاع عن العقيدة وفي الرد علي خصوم الإسلام .

يقول ضرار بن الخطاب وكان من الفئة المناوئة لرسول الله r في يوم بدر :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر

عليهم غدا والدهر فيه بصائر

وفخر بنى النجار إن كان معشر

أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر

فإن تك قتلى غودرت من رجالنا

فإن رجالا بعدهم ستغادر

ورد عليه كعب بن مالك مبينا له أن ما يتعجب منه شئ ليس بعجيب لأن الله ناصر دينه برسوله وبالأوس من حوله . كما أن شهداء المسلمين في الجنة وقتلى قريش المناوئين لرسول الله في النار .

يقول كعب بن مالك :

عجبت لأمر الله والله قادر

علي ما أراد ليس لله قاهر

وفينا رسول الله والأوس حوله

له معقل منهم عزيز وناصر

فلما لقيناهم وكل مجاهد

لأصحابه مستبسل النفس صابر

شـــهدنا بـــأن الله لا رب غـــيره

وأن رســـول الله بـــالحق ظـــاهر

فأمسـوا وقـود النـار في مسـتقرها

وكـــل كفـــور في جهـــنم صـــائر

ولو تأملنا مقطوعة كل من ضرار وكعب نجد أنهما تخلصا من المقدمة الطللية ووصف الناقة والرحلة في الصحراء فهما قد دخلا في الغرض الأساسي مباشرة . ناحية أخرى سارا في قصيدتيهما علي نفس الوزن ونفس القافية . أيضاً استهل الأول قصيدته بالتعجب الشكلي فأجابه الآخر بالتعجب الإيمانى . ولو تأملنا الألفاظ سنجدها تميل إلي السهولة . والصور تميل إلي الوضوح . والفكرة ليست في حاجة إلي تعقيد . ولو تأملنا كل النصوص التى دارت بين شعراء مكة والمدينة في هذه الحقبة لوجدنا أنها تدور بين مسلمين اعتزوا بإسلامهم وقرشيين أنكروا هذا الدين .

يقول عبد الله بن الزبعرى يبكى قتلى بدر :

مـــاذا علـــي بـــدر ومـــاذا حولـــه

مـــن فتيـــة بـــيض الوجـــوه كـــرامِ

حيـــا الإلـــه أبـــا الوليـــد ورهطـــه

رب الأنـــــام وخصـــــهم بســـــلامِ

وإذا بكـــى بـــاك فـــأعول شـــجوه

فعلـــي الـــرئيس الماجـــد ابـــن هشـــام

فأجاب حسان بـه ثابت قائلاً :

ابـــك بكـــت عينـــاك ثـــم تبـــادرت

بـــــدم يجـــــل غروبهـــــا بســـــجام

مـــاذا بكيـــت علـــي الـــذين تتـــابعوا

هـــــلا ذكـــــرت مكـــــارم الأقـــــوام

وذكـــــرت منـــــا ماجـــــدا ذاهمـــــة

سمـــــح الخلائـــــق ماجـــــد الإقـــــدام

من هنا يتضح لنا أن الخصومة بين ملة والمدينة لم يكن أساسها العصبية ولا القبيلة ولا الرياسة ولا المياه ولا المراعي كما كانت الخصومات في الجاهلية وإنما أساسها العداء للدين الجديد .

وكما تخلص الرثاء من المقدمات في الشعر الجاهلي ا كذلك تخلص الرثاء في صدر الإسلام من هذه المقدمات ،

يقول : عبد الله بن رواحة في رثاء حمزة t :

بكـــت عينـــى وحـــق لهـــا بكاهـــا

ومـــــا يغنـــــى البكـــــاء ولا العويـــــلُ

علـــي أســـد الإلـــه غـــداة قـــالوا

أحمـــــزة ذاكـــــم الرجـــــل القتيـــــلُ ؟

عليـــك ســـلام ربـــك في جنـــان

مخالطهـــــا نعـــــيم لا يـــــزولُ

وبعد وفاة النبي r حث الخلفاء علي حفظ ما هو حسن مفيد من الشعر ، وكانوا يعاقبون من يخرج عن سياج العفة والدين ، فهذا عمر بن الخطاب يحبس الحطيئة لإقذاعه في هجاء "الزبرقان بن بدر" ولم يطلقه من سجنه إلا علي أثر قصيدة رق لها عمر ***ومنها قوله*** :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

أنت الأمام الذى من بعد صاحبه

ألقى إليك مقاليد النبى البشرُ

وهكذا نجد الخلفاء قد حصروا حفظ الشعر وروايته ، لا للتلهى به في أغراضه المختلفة ، ولا لتأديب النفس وكبح جماحها ، بل لأنهم وجدوا أن تعلمه ضرورى لفهم القرآن الكريم ، فقد روى عن ابن عباس قوله :

"إذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب" .

الفصل الثاني :

النثر في عصر صدر الإسلام

كان النثر امتدادا للنثر الجاهلي وكان للقرآن الكريم وأحاديث النبي r الدور الكبير في تطوير النثر . وسبق أن تحدثنا عن حرص النبي علي نشر الكتابة بين المسلمين وقلنا بأنه جعل فداء القارئ الكاتب من أسرى بدر تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

معنى ذلك أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية شجعوا المسلمين علي تعلم القراءة والكتابة . وبهذا شاعت الكتابة بين المسلمين مما جعلهم يستخدمونها في كل شئون الحياة . وقد تطورت الكتابة الفنية وعلي الأخص كتابة الرسائل التي أخذت تتدرج في النضج حتى وصلت إلي ذروتها في عصر بنى أمية علي يد الأديب عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور.

§ مراحل كتابة الرسائل في صدر الإسلام :

المرحلة الأولي : فترة النبوة :-

وتشمل الرسائل والعهود النبوية ولنأخذ مثالا علي ذلك : كتب رسول الله إلي بنى ضمرة من بكر من كنانة(١) :

"أنهم آمنون علي أموالهم وأنفسهم . وأن لهم النصر علي من دهمهم بظلم . وعليهم نصر النبي r ما بل بحر صوفة . إلا أن يحاربوا في دين الله . وأن النبي إذا

(١) كان رسول الله r يملي ويكتب أحد الصحابة وذلك نظرا لأميته r .

دعاهم أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، ولهم النصر علي من برّ منهم واتقي" .والرسالة كما نرى تخلو من أساليب البيان الفنى إلا نادرا وذلك لأن الرسالة شأنها شأن سائر الرسائل في تلك الحقبة الأولي الغرض الأساسي لها أداء المعنى المراد تبليغه ، ففيها ترسل العبارة إرسالا ، وتكتب الرسالة علي قدر المعنى ، ولذلك خلت الرسالة من الصور إلا قليلا مثل قوله : "بحر صوفه" .

والملاحظ أن الرسالة خلت من أية قواعد فنية سواء في البدء أو الختام ، كذلك خلت من أساليب المبالغة والتفخيم والتعقيد .

وبعد تقدم الزمن قليلا تطورت الرسالة فبدأ ظهور نوع من التقنين للبدء والختام أما من حيث الأسلوب فيتردد بين الإطناب والإيجاز ، ولنتابع النموذج التالي والذي يمثل ما ذكرناه :

كتب رسول الله **r** إلي هوذة بن علي صاحب اليمامة : "من محمد رسول الله **r** إلي هوذة بن علي : سلام علي من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر إلي منتهى الخف والحافر ، فاسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك" .

إذا تأملنا النموذج السابق نجده يتراوح بين الإطناب والإيجاز فمن الإيجاز "اسلم تسلم" فبين معنى الكلمتين نجد كل ما جاء به الإسلام ، كذلك نجد أن الرسالة خلت من الخاتمة وتضمنت المقدمة وإذا تتبعنا أخريات العهد النبوى فسنجد الرسالة قد تطورت في شكلها ومضمونها ولنضرب لذلك مثلا برسالة النبي **r** لأكيدر دومة :

كتب رسول الله r إلي أكيدر: "من محمد رسول الله r لأكيدر دومه حين أجاب إلي الإسلام وخلع الأنداد والأصنام: أن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعاصي، وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح، والحافر والحصن ولكم الضاحنة من النخل، والمعين من المعمور، ولا تعدل سارحتكم، ولا تعد فاردتكم، ولا يحظر عليكم النبات، تقيمون الصلاة وقتها، وتؤدون الزكاة بحقها، عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء، شهد الله ومن حضر من المسلمين".(١)

في الرسالة نجد الرسول يميل إلي تفضيل لفظه علي أخرى مثل اختيار كلمة (وخلع) بدل (وترك) لما في الأولي من معنى الترك وزيادة، وعلي الرغم من طول الرسالة فقد مالت إلي الإيجاز في بعض عباراتها كالإيجاز بالحذف في (لا تعدل سارحتكم) أي عن المرعي.

من هنا نجد أن الطابع العام للكتابة في السنوات الخمس الأولي من الهجرة هو الميل إلي البساطة والسهولة في التعبير عن المضمون، وكذا الإيجاز والنفاذ إلي القصد مباشرة، والإقلال من أساليب الزخرف ومن البيان، وكذلك خلو الرسالة من عبارات التعظيم والتفخيم إلا ما ندر.

المرحلة الثانية: فترة الخلفاء الراشدين:-

نمت الرسالة في عهد الخلفاء الراشدين وتطورت إلي حد ما في الكتابة ولنأخذ بعض النماذج للدلالة علي تطور الرسالة في عهدهم.

---

(١) الضاحية: الناحية البارزة، والمراد: أطراف الأرض
الضحل: القليل الماء — البور: الأرض التى لا تزرع
المعاصي: التى لا عمران فيها — أغفال الأرض: التى لا أثر فيها
الضاحنة من النخل: ما تضمنته القرى منه.
سارحتكم: دوابكم الراعية — لا تعد فاردتكم: لا تضم إلي مال الصدقة

obeikandl.com

عهد أبو بكر الصديق إلي عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما -بالخلافة لما حضرته الوفاة فقال : "*بسم الله الرحمن الرحيم*"

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله r عند آخر عهده بالحياة ، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها العابد ويتقى فيها الفاجر. إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك علمى به ، ورأيى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون" .

فموضوع العهد مجال جديد للكتابة ، والعبارة تميل إلي الجودة ، ويظهر ذلك في قصر الفقرات ، ومحاولة الموازنة بينها ، والتقديم والتأخير ، والبساطة وعدم التكلف ، والقصد إلي الغرض في معنى محكم ، ولفظ مختصر يميل إلي الجزالة غالبا. وعندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر t كثرت الرسائل المتداولة مما طور فن الرسالة حيث اتسعت مجالاتها وتجددت أفكارها ، وتنوعت موضوعاتها ، ومن أبرز النماذج التي تعبر عن هذه المرحلة من تطور فن الكتابة ، رسالة عمر بن الخطاب التي بعث بها إلي أبي موسي الأشعرى والتى نصها : "*بسم الله الرحمن الرحيم*"

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلي عبد الله بن قيس :

سلام عليك

أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة. فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في

obeikandl.com

حيفك ، ولا ييئس ضعيف من عدلك ، البينة علي من أدعى ، واليمين علي من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلي الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل – الفهم الفهم مما تلجلج في صدرك مماليس في كتاب ولا سنة ..... الخ"

إذا تأملنا الرسالة نجد فيها المعنى العميق واللفظ الجيد والعبارات التي تجمع بين دقة المعنى وبلاغة اللفظ .

وفي عهد عثمان وجد نوع آخر من التطور في كتابة الرسائل وأبرز ملامح هذا التطور هو اصطناع أسلوب الجدل والحوار والاحتجاج والبرهنة ، كما اعتنى بالأسلوب ، وحبك العبارة وحسن تحليلها ، وكان من أبرز سمات الكتابة في تلك الحقبة عمق المعنى ، وسلامة الأسلوب ، والاقتصاد في الخيال ، والبعد عن التكلف والاستشهاد بالشعر في ثنايا الرسائل أو في ختامها ، والقصد إلي الغرض دون إطالة أو تكلف فالمعنى يقتصر علي الحقائق دون مبالغة أو تهويل ، ومع ذلك فتطور الرسائل في عصر صدر الإسلام كان محدودا ، ومن هنا ظل فن الكتابة بعيدا عن طابع الصناعة الفنية لقرب العهد بالبداوة من ناحية ، وانعدام الكتابة الديوانية بالمعنى الاصطلاحى المعروف من ناحية أخري .

الخطابة في صدر الإسلام

تطورت الخطابة في صدر الإسلام فبعد أن كانت أداة اجتماعية مهمة للحرب والصلح والوفاء والزواج والمفاخرة والوعظ تغيرت مع الإسلام فصارت دعوة دينية سياسية وحربية واجتماعية .

ومن يتتبع نصوص الخطابة ويتمعن في نماذجها يتبين له متانة أسلوبها وعذوبة ألفاظها ، وقوة تأثيرها ، واقتباسها من القرآن ، وسيرها علي هدية في الإرشاد والإقناع ، وزادها عظمة ورقيا مجئ القرآن نثرا لا شعرا ، وكذلك مجئ رسول الله r ناثرا يدعو إلي الدين ويبين أحكامه ويرسم سياسة الدولة الدينية والاجتماعية والتشريعية ، ويحمس الجند ويحثهم علي القتال والدفاع ، وقمع الفتن ، ورد البدع ، ثم جاء الخلفاء الراشدون فانتهجوا طريقته ، يدعون إلي الدين ويشرحون تعاليم الإسلام وينفذون العهود والوصايا للقواد والولاة والقضاة ، وكان للخطابة دورها عندما حدث خلاف بين المهاجرين والأنصار بعد وفاة رسول الله r ، وعندما ارتدت الجزيرة العربية عن الإسلام وعند قيادة الجيوش لمحاربة المرتدين .

فالخطابة إذن في صدر الإسلام تناولت كل هذه الأحداث ، وتناولت الفتن التي اتسع أفقها ، وعظم شأنها ، كالذى حدث في فتنة عثمان t أو كالذى حدث بين علي – كرم الله وجهه – والخوارج فظهرت قوة الحوار ، وشدة الجدل ، ونصوع الحجة ، وكان علي بن أبى طالب أفصح العرب بيانا بعد رسول الله r ؛ لذلك

وجدت الخطابة لها في هذا العصر ما أكسبها الرقى والازدهار , كذلك بقيت لها عاداتها القديمة من اعتجار العمامة , والاشتمال بالرداء , واتخاذ المخصرة , والوقوف علي مكان عال من الأرض أو منبر , والاعتماد علي قوس في الحرب , وعلي عصا في وقت السلم , وكانت الخطبة تبدأ بالحمد لله وتوحيده والثناء عليه ثم الصلاة علي محمد r , وتميزت الخطابة بالإيجاز والإطناب حسب مقتضى الحال , وتبعا لدواعي الخطبة , فقد خطب رسول الله r من لدن العصر حتى دنت الشمس للمغيب , وخطب عمر بن الخطاب t لما ولي الخلافة فلم يزد علي قوله : "أيها الناس إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له , ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه" ثم نزل , وإذا تأملنا الخطبة الأولي نجد أنها تميل إلي الإطناب , تتحدث في أكثر من موضوع , قلة الصور البيانية , وضوح الفكرة , انتفاء اللفظ , وإذا تأملنا الخطبة الثانية نجد أنها تميل إلي الإيجاز والموازنة , وتتسم بسهولة اللفظ ووضوح المعنى , وعدم التكلف في المحسنات .

وإذا عددنا الخطباء في عصر الإسلام فسنجدهم كثيرين , أولهم رسول الله r وأعظمهم الخلفاء الراشدين , وكثير من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين .

نماذج من الخطابة

- **النموذج الأول :**

لما نزل قوله تعالي :

[ÇÍÈ ûüÏÎð ÒΟŠÇã óÚ Ìãr& ©!$# ÏJÎ ÷‰ô $# ....] (١)

دعا رسول الله r قومه وهو علي جبل الصفا ثم قال :

"أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فإنى نذير لكم بين عذاب شديد" .

- **النموذج الثاني :**

وخطب يوما فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

"أيها الناس إن لكم معالما فانتهوا إلي معالكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلي نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين ، بين عاجل قد مضى لا يدرى ما اللّه صانع فيه ، وبين آجل قد بقي لا يدرى ما اللّه قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار" .

- **النموذج الثالث :**

وخطب أبو بكر t يوم السقيفة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

"**أيها الناس :** نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس رفادة في العرب ، وأقربهم رحما برسول اللّه r ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن الكريم عليكم ، **قال تبارك وتعالي :**

---

(١) سورة الحجر: من الآية ٩٤ .

obeikandi.com

[..... 9» ¡ ôñÎ Nèlqã7?$ûïÿ‰ Í$ÁRF$ ûïÌÉ»gB$`Ï bqæF$šc qàô»ii 9$][1]

فنحن المهاجرون ، وأنتم الأنصار إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الغنى ، وأنصارنا علي العدو ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيرا ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا يدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا تنقموا علي إخوانكم ما منحهم الله من فضله" .

- **النموذج الرابع :**

لما تولى عمر بن الخطاب t الخلافة حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : "إنى داع فأمنوا ، اللهم إنى غليظ فليّنى لأهل طاعتك ، ووفقنى للحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة علي أعدائك ، وأهل الفجر والخبث والنفاق من غير ظلم منى لهم ، ولا اعتداء عليهم ....." .

- **النموذج الخامس :**

من خطب عثمان t ، وقد نقم الناس عليه :

"إن لكل شئ آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة عيابون ظنّانون يظهرون لكم ما تحبون ، ويسرون ما تكرهون ، لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم علي ، ولكن قمعكم وزجركم زجر النعامة ، والله لأنى أقرب ناصرا وأعز نفرا ....."

- **النموذج السادس :**

خطب الإمام علي بن أبى طالب – كرم الله وجهه – لما بويع علي الخلافة بعد قتل عثمان – رحمه الله :

---

(١) سورة التوبة الآية من ١٠٠ .

"دعونى والتمسوا غيرى ، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه ، وألوان لا تقوم لها القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وإن الآفاق قد أغمت ، والمحجة قد تنكرت ، واعلموا إن أجبتكم ركيت بكم ما أعلم ، ولم أصغ إلي قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتمونى فأنا كأحدكم ، ولعلّى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزير خير لكم من أمير" .

لو تأملنا النماذج السابقة نجد أنها دخلت علي الغرض منها مباشرة ، أيضاً لم يقف الإسلام فيها عند حد معين فقد صبغها بصبغة تختلف عما كانت عليه في العصر الجاهلي .

§ *وقد نجد مجالاتٍ أخري دخلتْ فيها الخطابة أهمها :*

مجالات القضاء ، وخطب الجهاد والغزو ، كما ظهرت ملامح الخطابة السياسية حتى أصبحت قسما مهما من الخطابة الإسلامية في آخر هذا العصر ، وقد تحدثنا عن تطور الخطابة في الشكل والمضمون والأسلوب من قبل .

الملامح الفنية العامة للخطابة

أ): الألفاظ :

ساعد القرآن الكريم والحديث الشريف علي تهذيب الألفاظ ، والعناية باختيار السهل العذب ، والبعد عن الغريب والحوشى من الألفاظ ؛ لأن الحضارة الإسلامية كانت في حاجة إلي تطويع اللفظ بما يتفق مع الدين الجديد .

ب): المعاني :

تأثرت الخطابة بالمعاني القرآنية استمدادا واقتباسا , واستشهادا , كما مالت الخطابة إلي التعبير عن المعاني تعبيرا تصويريا , مستعينة بالخيال من تشبيه واستعارة وكناية وخاصة في أواخر هذا العصر.

ج): الأسلوب :

يتجلى أثر القرآن في الخطابة أكثر مما يتجلى في الأسلوب , حيث عكف الخطباء علي القرآن , وحاولوا محاكاة أساليبه , والتأثر به في البيان وحسن الأداء , فجعلوا أسلوب القرآن هو المثل فتفننوا في صياغة الأساليب وتنويعها .

وقد خلا الأسلوب من السجع إلي حد بعيد , واعتمد علي قوة الألفاظ وعذوبتها , والاعتماد علي الموازنة والازدواج .

د): التميز بالوحدة الموضوعية :

وكان عماد هذه الوحدة التلاحم بين الفقرات يضاف إلي ذلك الوضوح الذي يقوم علي التقسيم المتدرج , وشيوع الألفاظ , وسهولتها .

هـ): الميل إلي الإيجاز القائم علي السجيّة , والمؤدى للفكرة من أقرب طريق .

و): اتخذت الخطابة في المقدمة طريقة واحدة , وهى البدء بحمد الله والثناء عليه وتعظيمه , وتضاف إلي ذلك الصلاة علي النبى أما الختام فلم يأخذ طابعا واحدا .